شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية

للاب لويس شيخو اليسوعي

٧ نابغة بني شيبان (تابع)

قال ابو الفرج (٦ : ١٥٤) ومما يُغنّى فيه من شعر نابغة شيبان وذكر يونس انّ فيه لحناً آخر لابن عائشة. والقصيدة في ديوان النابغة تُنيف على ستين بيتاً اختار منها في الاغاني ثمانية ونلتقي منها ما يلي (من مجزوء الرمل) :

ذرفَتْ عيني دموعاً ... من رُسومٍ بحَفيرِ
مُوحِشاتٍ طامساتٍ ... مثل آيات الزُّبُورِ
غَيَّرَتْها في سُفورٍ ... مرّ ايّامَ الدهورِ
جادَها كلُّ مُلِثٍّ ... ذي اهاضيبَ مَطيرِ
واذا النَّكباءُ هاجتْ ... لَعِبتْ فيها بِعُورِ
وجَنُوبٌ وشَمالٌ ... وصَباً بعد الدَّبُورِ
قد اذاعَتْ برسومٍ ... لا تَبينُ لِبَصيرِ
بُدِلَ الرَّبْعُ وحوشاً ... من كبيرٍ وصَغيرِ
ذاك من بعد حِلالٍ ... وأنيسٍ وعُمورِ
وهِجانٍ وقِيانٍ ... وقِبابٍ كالقصورِ
وخُيولٍ أُرِنّاتٍ ... من إناثٍ وذكورِ
وسَماحيجَ سراعٍ ... مثلَ عُقْبانٍ كُسورِ

وجسانٍ آنسـاتٍ وعَذارى في خُدورِ
قـاصراتٍ ناعمـاتٍ في نعيمٍ وسرورِ
ليس من يذكرُ هذا يا لَـقومٍ بصَبُورِ
وكهولٍ قـد أراهم كخضاريمِ البُحورِ
ورجـالٍ لم يَشيبوا وشِبـاب كالصُقورِ
كم تَرى فيهم نـديماً من رئيسٍ كالاميرِ
ذي عَطـاءٍ وغَنـاءٍ مُحسنٍ نَسجَ الامورِ
قـائدٍ جيشاً هُماماً عند حـلّ ومَسيرِ
لَجِباً يُسمِعُ رِزّا عنـد طعنٍ ونفـيرِ
فـاذا تَندو شبـاباً كلّ ميمونٍ هَصُورِ
ركبوا كلّ عَلَنْدَى ذي أفانينَ صَبُورِ
فـاذا لاقوا اسودًا أوعدَتْ أُسدًا بزيرِ
طاعَنوا بعد رِمـاءٍ وضِرابٍ بالذكورِ
ومن النـاسِ غنيٌّ ذو سَوامٍ وقُـدورِ
ووسيطٌ في زَمـاعٍ ذو معـاشٍ وفقيرِ
كلٌّ باغي الخيرِ يوماً راكبُ الهَولِ الكبيرِ

﴿شعرهُ﴾ استحقَّ عبدالله بن مخارق الشيبـاني ان يدعوهُ قومهُ نابغةً لجودة شعرهِ الجامع بين المتانة والانسجام . وديوانهُ قد نجا من آفات الـدهر منهُ نسخةٌ في مكتبة مصر المعروفة سابقاً بالخديويَّة عنها نُقلت نسخة مكتبتنا الشرقيَّة . وهي

تتألف من ٤٦ صحيفة اعني ٩٢ صفحة وفي الصفحة ١٥ بيتاً ومجموع قصائد الديوان عشرون عدًا. على انَّ هذه النسخة سقيمة لا بُدَّ من نسخةٍ ثانية لإصلاح ما وقع فيها من التصحيف والتحريف . وهـا نحن نروي منها بعض المقاطيع التي تشهد تقاذيها بالذكاء والقريحة الشعريَّة . وقد وجدنا في كتب الادباء ابياتاً ومقاطيع ليست في هذا الديوان فنروي منها ما نرى من ايرادهِ فائدةً . فمن شعر النابغة الشيباني المختار قصيدتهُ البائيَّة في مديح يزيد بن عبدالملك اولها (من البسيط) :

بان الخَليطُ فشَطُّوا بالرَّعـابيبِ وهنَّ يُوْنِسْنَ بعـد الحُسن بالطِيبِ
فهيَّجوا الشوقَ اذ خَفَّتْ نَعامتُهم وأورثوا القلبَ صَدْعاً غيرَ مَشعوبِ

وهي طويلة منها قولهُ في كوارث الدهر :

ما يَطْلُبِ الدهرُ تُدْرِكْهُ مَخـالبُهُ والدهرُ بالوِتْرِ ناجٍ غيرُ مغلوبِ
يُبْلي الشبابَ فينفي الشيبُ بَهْجَتَهُ والدهرُ ذو العُوصِ يأتي بالاعاجيبِ
هل من أُناسٍ أُولي مجدٍ ومـأثُرَةٍ إلاَّ يَشُدُّ عليهم شَدَّةَ الـذيبِ
حتى يُصيبَ على عَمْدٍ خِيـارَهُمُ بالنافذاتِ من النَّبْلِ المَصـاييبِ
انّي وجدتُ سهامَ الموتِ مَعْدِلُها بكل حَتْمٍ من الآجال مكتوبِ
والدهرُ حالانِ همٌّ بعـدَهُ فَرَحٌ وفَرْجَـةٌ بعدهـا همٌّ بتغييبِ
من يَلْقَ بَأْوى يَنَلْهُ بعدَها فَرَجٌ والناس من بين ذي رَوْحٍ ومَكْروبِ
وبين داعٍ الى رُشْـدٍ صحابَتَـهُ وبين غادٍ وذي مـالٍ ومحروبِ
والعيشُ طِيبـانِ طِبٌّ ثَرَّ حالِبُـهُ وطِبٌّ جَـدْاءَ ذاوٍ غيرُ مَحْلوبِ

ومن حِكَمها المصيبة :

عاتِبْ أخاكَ ولا تُكْثِرْ مَلامَتَهُ وزُرْ صديقَكَ رِسْلاً بعد تَغْيِيبِ

وان عُنيتَ بمعروفٍ فقُلْ حسناً ولا تَهُنْ عن ذوي ضِغْن لتهييبِ
لا تحمَدَنَّ امرءاً (١ حتى تجرّبهُ ولا تَذُمَّنَّهُ من غير تجريبِ
انَّ الغلام مطيعٌ مَن يؤدّبُهُ ولا يُطيعُك ذو شَيْب لتأديبِ

ومنها في مدح يزيد :

وان رحلتَ الى مَلْكٍ لتمدحَهُ فارْحَلْ بشِعْرٍ نقيٍّ غيرِ مَخْشوبِ
وامدَحْ يزيد ولا تَظْهَرْ بمدحتهِ وقُدْ اوائلَها قَوْداً بتشبيبِ
انَّ الخليفةَ فرعٌ حين تَنسبُهُ من الأعاصر هَيْجا غير مَنْسوبِ
يَنميهِ حَرْبٌ وَمَرْوانٌ وأصلُهما آلى جراثيمِ مجدٍ غير مأشوبِ
تَمالك أربعةٌ كانوا انَمَّتنا فكانَ مُلْكك حقّاً ليس بالحُوبِ(٢
اعطاكَ مُلكاً وتقوًى انت سائلُهُ بعد الفضائل مَن اوحى الى النُّوبِ(٣
أبلجُ كالبَدْر عالي الهمّ مختلفٌ يُنمَى الى الأبطحيّات المصاعيبِ
بحرٌ نمَتْهُ بُحورٌ غيرُ ساجيةٍ تلك المخاصيبُ ابناءُ المخاصيبِ
قومٌ بمكّةَ في بطحائها وُلدوا ابناءُ مكّةَ ليسوا بالأعاريبِ
الاكثرونَ اذا ما سال مَوْجُهمُ بكلّ أصْيَدَ سامي الطَّرْف هَيْهوبِ(٤
والضاربون من الابطال هامَهُمُ ضرباً طِلِخْفاً وَوَهْكاً غيرَ تذْبيبِ(٥
انت ابن عاتكةَ الميمونِ طائرُها امّ الملوك بني العزّ المناجيبِ
اذا الملوك جرت يوماً لمكْرُمةٍ جَرْيَ المحاضيرِ حُثَّتْ بالكلاليبِ

١) وبروى : لا تمدحنَّ فتًى ٢) الحوب الإثم ٣) النُّوب النحل
٤) الهيوب الخفيف
٥) الطِلِخْف والطِلِخْف الشديد . وَهَكَهُ هذهُ

جريتَ جَرْيَ عتيقٍ لم يكن وَكِلًا بَذِّ المَناجيجِ سبقاً غيرَ مضروبِ

ومن قصائده الغرّاء داليّتهُ الشهيرة التي اوّلها (من الوافر) :

أتَصْرِمُ أم تُواصِلُكَ النَّجُودُ (١ وليس لها وإن وصلَتْكَ جُودُ

وفيها يقول في وصف حدثان الدهر :

وعَوْضُ الدهرِ بالانسانِ جَمٌّ فما للشامتين بهِ خُلودُ
وكلُّ مُنعَّمٍ واخي شقاءٍ ومُثْرٍ والمُقِلُّ معاً يَبِيدُ
اذا ما ليلةٌ مرَّتْ ويومٌ أتى يومٌ وليلتُهُ جديدُ
أبادَ الأوّلين وكلَّ قِرْنٍ وعادًا مثلَ ما بادت ثَمُودُ
ولا يُنجي من الآجالِ ارضٌ يُحَلُّ بها ولا القَصْرُ المَشِيدُ
ولا يُحْيي الجبانَ حِذارُ موتٍ ويَبلغُ عُمْرَهُ البَطَلُ النَّجِيدُ

ومنها في مدح التقى ومصاحبة الأخيار :

ولستُ ارى السعادةَ جَمْعَ مالٍ ولكنَّ التقيَّ هو السعيدُ
وتقوى الله خيرُ الزادِ ذُخْرًا وعندَ اللهِ للأتقى مَزِيدُ
فصاحِبْ كلَّ أروعَ دَهْشَميٍّ (٢ ولا يَصْحَبْكَ ذو الجَهْلِ البَلِيدُ
يرى ما نالَ غُنْماً كلَّ يومٍ صَفاةُ حين تَخْبُرُهُ صَلِيدُ
وشرُّ مُصاحِبٍ خَلْفٌ قَصِيٌّ ونِعْمَ الصاحبُ الخُلُقُ السديدُ

ومن هجائها :

فما بالي وبالُ بني لَكاعٍ عليَّ لهم اذا شَبِعوا فَديدُ

١) النجود المرأة الماقلة النبيلة ٢) الدهشميّ السَّهل الخُلُق اللّين المعركة

اذا ما غبتُ عنهم أوعدوني ... واي الناسِ يقتلهُ الوَعيدُ
متى ما يسمعوا رِزّي يدينوا(١ ... كما دانت لِيَدها اليهودُ
كأنهمُ لقد جَشِموا وذَلّوا ... مخافةَ أن أجدِّعهم سُجودُ
بَهَرْتُهمُ وأفحمَ ناطقوهم ... كما بَهَرَ المُحَمَّلةَ الصُّعودُ(٢

ومن فخرها قولهُ في بني شيبان :

نفى عني العدوَّ قُراسياتٌ(٣ ... قُروم من بني شَيبانَ صِيدُ
فمنهم حين تَنتطح النواحي ... اذا أُذكِرَ المآثِرُ والعَديدُ
شقورٌ وحارثةُ بنُ عمرٍو ... هما الفرعانِ مجدُهما تليدُ(٤
وبِسطامٌ تَغمَّطَ والمُثَنّى ... بهِ قُضَّتْ من الفرس الجُنودُ(٥
وعَوفٌ(٦ المأثُراتِ وكلِّ عهدٍ ... وفيٌّ حين تُنتَقَضُ العهودُ
وذو المأنى ابو حربِ بن عَوفٍ ... مَعاذَتُهُ تُفَكُّ بها القيودُ(٧
وكان الحَوفزانُ شِهابَ حربٍ ... رئيسَ الناس مُتَّبعاً يقودُ(٨
وفَكّاكُ المُناقِ ابو ثُبَيتٍ ... يزيدٌ بعدَهُ منّا يزيدُ(٩

---

١) الرزّ الصوت الخفيف نسمعهُ من بعيد

٢) شبّه اعداءهُ بالابل المزقورة تكلُّ صعودًا . ويروى : وأفحمُ ناطقيهم

٣) القُراسيات الابل الشديدة الضخمة شبّه بها قومَهُ ٤) هما مفروق من بني ابي ربيعة وحارثة بن عمرو بن ابي ربيعة الشيباني ذو التاج كان على بكر بن وائل يوم أوارة حين قاتلوا المنذر بن ماء السماء ٥) هو بسطام ذو الجدَّين . والمثنّى هو ابن حارثة الشيباني

٦) عوف من بني هند ٧) جاء في اصل الديوان : المأنى الانتظار . والمأنى من الأناة والحلم . معاذتهُ اي كان الرجل اذا أثِرَهُ قال : عُذتُ بفلان وابو حرب هو ابن عوف من بني هند ٨) هو الحوفزان بن شريك واسمهُ الحارث . وابوهُ شريك بن مُطَرِّد من بني زائدة كان أكبر الناس عند المنذر (الاشتقاق لابن دريد)

٩) ابو ثُبَيت هو يزيد بن مسهر من بني همام بن مرة . ويزيد ابو حوشب ابنهُ

وعُدَّ أبا الوَجيهةِ في نُجومٍ نجومُ حُمَّةٌ تلك السعودُ (١
قَبيصَةُ وابنُ ذي الجَدَّين فيهم (٢ وأشرسُ (٣ والمُحَيَّةُ والشريدُ (٤
وعمروٌ والأغَنُّ عميدُ حيٍّ وكلٌّ في أرُومتهِ عَميدُ (٥
وسادَ ابنُ القُرَيمِ وكان قَرْماً أخا حربٍ يُشَبُّ لها الوَقُودُ (٦
وحَمّالُ المِئينَ ابو حِماسٍ اذا ضَلِعَ اللَّهيدُ
وجادَ ابنُ الحُصَيْن وكان بحرًا ولِلْمَزْهازِ عند الجَهْدِ جُودُ (٧
ومَصْقَلَةُ الذي أجدى وأعطى لهُ من مَدِّ عافيةٍ وُرودُ (٨
بهِ عُتِقَ السَّبايا بعد رِقٍّ اذا أبطَتْ فِكاكَهُمُ الوُفودُ
جلودُهُمُ من العَثَراتِ مُلْسٌ نقيّاتٌ اذا دَنِسَ الجُلودُ
أولئك أسرتي سَأذودُ عنهم اذا ما خامَ عنهم مَن يَذودُ
بِغُرٍّ من قَوافٍ نافِذاتٍ جَوارِحَ في الصُّدورِ لها خُدودُ
فخيرُ الشعرِ أكرمُهُ رجالًا وشرُّ الشعرِ ما نَطَقَ العبيدُ

---

١) ابو الوجيهة ركضة بن ركضة بن النعمن وهو من بني سعيد بن همام بن قبيصة بن ابي ربيعة ٢ قال ابن الاثير في المرصّع (ص ٧٠) : « ذو الجدّين هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني وهو والد بسطام بن قيس سُمّي به لانهُ كان أسَرَ اسيرًا لهُ فداهُ كبير فقال رجلٌ : انهُ لذو جَدٍّ في الأسر اي حظّ فقال آخر : انهُ لذو جَدَّين

٣) وأشرس من بني هند . والمحيّة من بني ربيعة ٤) الشريد من بني مرّة بن همام وهو خالد بن السفاحة من بني مرّة ٥) الأغنّ احد بني حارثة بن رهل ابو حماس بن زيد بن خُلَيْد احد بني الورثة ٦) ابن القريم من بني قَيْم بن شيبان وهو سلَمة بن ثمامة ٧) هو عمرو بن الحصين احد الاحلاف من بني عمرو بن همام . والمزهاز من بني ابن همّام

٨) مصقلة من بني ثعلبة بن شيبان . عافٍ وعافية من عفوتُهُ واعتفيتهُ اذا اتيتهُ

والمنابغة من قصيدة يذكر فيها الخالق عز وجل ويحض الانسان على الصلاح (من الطويل) :

وتُعجبني اللذّاتُ ثم تَعوجني ... وتَسْتُرني عنها من الله ساترُ
فقلتُ وقد مرّت حتوفٌ بأهلها ... ألا ليس شيءٌ غيرَ ربّيَ غابرُ
هوالباطنُ الربُّ اللطيفُ مكانُهُ ... وأوّلُ شيءٍ ربُّنا ثمّ آخرُ
كريمٌ حليمٌ لا يُعَقّب حكمُهُ ... كثيرٌ ايادي الخير للذنبِ غافرُ
يُقيم حَصادَ الزرع بعد ارتباعهِ ... فتفنى قرونٌ وهو للزرع آبرُ
ومن يُعْنَ بالأخبار عن مَن يَرُومُها ... فاني بما قد قلتُ في الشعرِ خابرُ
ألا أيُّها الانسانُ هل انت عاملٌ ... فانك بعد الموت لا بُدَّ ناشرُ
ألم ترَ انَّ الخير والشرّ فتنةٌ ... ذخائرُ مَجريٌّ بهنَّ ذخائرُ
ومن يَعْمل الخيرات او يَحْظَ خالياً ... يُجازَ بها ايّام تُبْلَى السرائرُ
وجدتُ الثَّرا ثمّ المُصيباتِ كلَّها ... يجيءُ بها بعد الإلهِ المقادرُ
فإنْ عُسْرةٌ يوماً اضرّت بأهلها ... أتَتْ بعدَها من غير شكٍّ مياسرُ (١
ونازلِ دارٍ لا يُريد فِراقَها ... ستُظْعنهُ عمّا يريدُ الجرائرُ
ومن يُنصفِ الأقوامَ ما كان قاضياً ... وكلُّ امرئٍ لا يُنصفُ الناسَ جائرُ (٢
ويُعذَرُ ذو الذنب المُقِرُّ بذَنبهِ ... وليس لمن يُفضي على الذنبِ عاذرُ (٣

(لها بقية)

١) ويروى: انت بعدها عمّا وَعدنا المياسرُ ٢) ويروى: لم يأتِ قاضيا ... لا ينصفُ الله ٣) هذه رواية حماسة البحتري. وفي الديوان: ويُعذر ذو الدين الطلوب الناس عاذرٌ بدينهِ. وليس لامرٍ يظلم